

حياته في متابعة ما رسم له منذ البداية مع العلم أنه يفكر مراراً أن هذه الرسومات لا تشكل حقيقته أبداً !

يقول العالم النفساني الشهير كارل روجرز : ان مشكلة الانسان في هذا القرن هي بحثه المتواصل عن حقيقة شعوره وحقيقة ما يريد القيام به .

والواقع أن الفرد حين يبدأ بهذه الأسئلة يكون على طريق الشفاء الصحيح . فكل واحد منا يملك قدرة الابتكار في داخله . وان استطاع المجتمع أن يترك هذا الزورق يسير بمفرده ، فان مسيرة الانسان لا بد أن تتغير نحو التطور والأفضل .

✽ الحاجة الى الهدوء :

مع مرور الزمن يتحول الانسان إلى كائن محافظ نظراً لحاجته الى الراحة والهدوء التي يمكن أن تؤمنها له العادات والتقاليد المتبعة .

وإذا حدث أن مرت في باله حادثة ابتكارية فإنه سرعان ما يحاول نسيانها ورفضها لصالح الواقع المعاش .

وقد يكون السبب في تلك الحالة هي الحياة التي يجيها المرء والتي تفرض عليه نمطاً اجتماعياً وحياة جماعية تسير فوق أهداف محددة وتقاليد متبعة .

ان هذه التربية التي تسير الفرد منذ صغره تسبب ما يلي :

- عدم الاستقلالية في التفكير .
- الشعور ان احترام النفس ينتج عن احترام الآخرين للمرء .
- طريقة تفكير مغلقة .

ان الذين يتمتعون بهذه الصفات هم من المحافظين الذين يفقدون كل حس ابتكاري مميز .

وقد بينت الدراسات التي وضعت عن هؤلاء الأشخاص ، أن الانسان

المحافظ كلياً ، يميل نحو الشعور بالنقص . فهو مشغول دائماً بما يمكن لرؤسائه أن يفكروا به تجاهه .

وانسان كهذا لا يمكن تحميله المسؤولية . وهذا الصنف من الرجال ينقسم عادة إلى قسمين :

● المحافظ الذي يتأثر بالآخرين : أفكاره وتصرفاته كلها تنبع من تصرفات الآخرين ، هذا الانسان غير قادر على الرؤية الفردية للأمور إنما يعيد كل شيء إلى الجماعة ونظرتها إليه . وهو بالتالي غير قادر بتاتاً على أي أمر ابتكاري .

● المحافظ الانتقائي : هذا المرء يملك نظرة محدودة للأشياء غير أنه يفضل الأخذ بنظرة الجماعة منعاً لكل احتكاك بينهما . وعلى الرغم من هذا ، نجده أحياناً إذا جلس وسط جماعة يرتاح إليها ولا يخاف منها ، يطرح أفكاره بحرية .

انسان كهذا يستطيع أن يكون مبتكراً . ولكن الخوف عليه من الوقت . إذ أنه يخشى أن تمر فترة شبابه دون أي عمل خلاق فيسقط في النتيجة وسط مفاهيم الجماعة ويندمج أكثر فأكثر مع الأفكار والتقاليد المحافظة .

● المحافظ السلبي : وهو الانسان الذي يرفض كل أفكار الجماعة حتى وان كانت صائبة . ينتقد حباً بالانتقاد . وحالة كهذه تضع عليه فرصاً كثيرة للابتكار .

وعلى الرغم من أن النظرة الأولى تجعلنا نعتقد أن انساناً كهذا هو بعيد عن التقاليد والمجتمع فان هذا هو الخطأ الذي يقع فيه الكثيرون ، وذلك لأن انتقاد الجماعة يعني أيضاً البقاء داخلها لانتقادها . ان شخصية هذا المرء لا تتبلور إلا من خلال المحيط الذي يعيش فيه .

والآن نتطرق الى الانسان غير المحافظ فنجد فرقاً واسعاً بينه وبين الأشخاص الذين رسمناهم سابقاً .

هو رجل ذكي يستطيع حل أي مشكلة تعترضه بأساليب غير متبعة وهو صعب السقوط في النهايات الحزينة وذلك لكونه يدرس مشاكله بعناية فائقة لا يستطيع غيره القيام بها نظراً لاختلاف طرق التفكير .
وهو أيضاً رجل عفوي أكثر من الرجل المحافظ ويستطيع المخاطرة أكثر منه .

وفي ما يلي بعض التوضيحات عن غير المحافظين ، كما اعترفوا بها خلال إحدى الدراسات .

- من وقت لآخر أحب معاكسة الأشياء المتبعة والقيام بأعمال ليس من المفروض في القيام بها .
- أحب أن أتسلى بأفكار جديدة حتى وإن كانت مجلبة لضیاع الوقت .
- ليس من عادتي اتخاذ مواقف نابعة من مواقف الآخرين .

* التصرفات خلال العمل :

إن المحافظ ، والرجل غير المحافظ يتصرفان تجاه العمل بطريقة مختلفة كلياً . والتوضيح التالي سيبين الفرق بين الاثنين .

الرجل المحافظ	الرجل غير المحافظ
الاهتمام بجماعة العمل .	عدم الاهتمام بجماعة العمل .
عدم الاهتمام بنوعية العمل .	الاهتمام بنوعية العمل .
الاهتمام بعمله دون المحيط	الاهتمام بعمله دون المحيط
كثير التأفف	عدم الاهتمام كثيراً براتبه .
بحاجة يومية إلى الاطراء	الاهتمام بإرضاء نفسه عبر اتمام عمله .
بحاجة « يومية » للمكافآت .	اهتمامه الأول هو حل كل المشاكل المتعلقة بعمله .

* الخوف من الوحدة :

يبدو أن غريزة التجمع عند الانسان هي قوية للغاية ولا كيف يمكن أن تفسر أن الكثيرين بيننا قد فقدوا الحياة الخاصة ! حتى في عملنا فإن الموظفين يجلسون عادة في مكاتب جماعية . وإن حدث وجلس بعض الأفراد في مكاتب فردية فإن هذه المكاتب كثيراً ما تكون من زجاج أو نصف مفتوحة مما يتيح للجالس الشعور بالآخرين قربهم أو رؤيتهم في أسوأ الأحوال .

وحتى في البيت ، فقدنا حياتنا الخاصة . فنحن إذا ما كنا وحيدين ، سرعان ما أمسكنا كتاباً أو مجلة . . أو أدرنا المذياع أو التلفزيون كي نبقي على اتصال مع الجماعة . ومن النادر اليوم أن نبقي بمفردنا مع أفكارنا وحدها .

بالنسبة إلى الحياة الابتكارية فإن الانسان بحاجة دائماً للخلود إلى الراحة مع نفسه دون الآخرين . فحين يكون الانسان منفرداً مع نفسه تجده أكثر قدرة على الابتكار وإيجاد كل جديد .

ان الوحدة يقول أحد العلماء هي الدواء الفعال لكل عمل جديد مبتكر .

* اتجاه نحو المستقبل والماضي :

نظرتان للحياة في كل المجتمعات تمنعان الفرد من العيش واقعياً وابتكارياً .

الأولى وهي المنتشرة في المجتمعات الغربية تبحث دوماً في المستقبل .
والثانية وهي المنتشرة في المجتمعات الشرقية تبحث وتفكر دوماً بالماضي .
النظرتان تؤديان الى ضياع الوقت فضلاً عن ضياع فرص الحياة الحاضرة .
الانسان الذي يحيا لمستقبله يجد نفسه دائماً مسبوقاً بالوقت . فهو يشعر ان الحياة سريعة ولا تؤمن له الوقت الكافي لتحقيق اماله .
من جهة أخرى نجد الانسان الذي يحيا لماضيه يتأفف من ببطء الوقت .

هذا المرء لا يجد مصلحة في التفكير بحاضره باعتبار أنه دخل غرفة مظلمة وأغلق خلفه الباب مستفيداً من الظلمة للتأمل في حياته الماضية .

وهنا ، لا بدّ من أن يشعر القارئ أنه في الحالتين ، يضع الحاضر وهو المهم في الحياة الانسانية .

ولذلك وجب على الانسان كي يصير رجلاً مبتكراً أن يعمل في حاضره وأن يعرف أن عمله هذا هو حجر صغير في مستقبله الكبير .

٢ - سدود أمام حل المشاكل :

أغلبية الناس ، سرعان ما تأخذ تجاه مشكلة معينة الحل الأول الذي يخطر ببالها . ونادراً ما نجد شخصاً يهتم بطرح عدة حلول فيتعمق بها ويدرسها مراراً قبل الأخذ بواحد منها .

وقد دلت التجربة أن الأفكار المتعددة والحلول المختلفة للمشكلة تبقى السبيل الوحيد النافع لحلحلة القضايا . وعلى كل حال ، الشخص الذي يعرف أن بمقدوره أن يجد عدة حلول خارقة لا يجد نفسه مضطراً للأخذ بأول حل يخطر على باله .

* الأحكام الناقصة :

الناس بالاجمال يأخذون بأول حكم يصورونه حول قضية معينة فيدافعون عنه مهما كانت النتائج . والمؤسف هنا أن دفاعهم يكون أحياناً في الوقت الذي يشعرون فيه بأنهم على خطأ !

* روحية الحلول :

في دراساته النفسية ، اكتشف العالم نورمان ماير ، ان أغلبية الناس أمام مشكلة معينة سرعان ما يشعرون بالحاجة الى الحلول . ومتى تم لهم ذلك فانهم يأخذون بأول حل يتوصلون اليه دون البحث في إيجاد أو التفكير بحل آخر .

* الحركة المتواصلة والنشاط الزائد :

لا شك أن أي عملية أو عمل ابتكاري بحاجة الى الحركة والنشاط غير أن البعض للأسراع في عملهم يعمدون الى حركة متواصلة . وهكذا فإن عدة مشاكل تعترضهم في سلوكهم هذا . أولاً ، الشخص « النشط » قد لا يفهم أبعاد مشكلته فيتلهى بالقشور ناسياً لب القضية .

ثانياً ، أن انساناً كهذا لا يملك عادة رؤية شاملة لكل الأمور مما لا يتيح له معرفة طبيعة العلاقة بين جزئيات الموضوع فيفسد بالتالي الحلول .

* الجهود البالغة :

بعض الأشخاص يملكون جهوداً كبيرة لمعالجة المشاكل غير أن هذه الجهود وإن كانت جيدة في بعض الأحيان فإنها تؤثر عليهم من كثرة انشغالهم بالمشاكل . وتكون النتيجة عدم القدرة على حل المشاكل الجديدة التي تكون بحاجة الى حلول غير متعارف عليها .

* الفكر العملي :

ان انساناً يملك الحس العملي يسير فوراً نحو الهدف بدلاً من أن يبحث المشكلة بطريقة مستفيضة . وهو في ذلك تكون له نظرة مسبقة عن النتيجة مما يمنع بقية الحلول .

ان الذي يتمتع بالفكر العملي لا يعني بتاتا أنه يتمتع أيضاً بالحس العملي الذي يسمح له بسبل الابتكار .

* التعصب للصعاب :

الذي ينوي إيجاد حلول مبتكرة للمشاكل ، عليه أن يحتمل الأشياء المعقدة التي يمكن أن تعترضه .

عليه أن ينظر الى عدة حلول وأن يأخذ المشكلة بكل أبعادها .

وأحياناً حين تكون الحلول المبتكرة معسرة أمامه وجب عليه الأخذ بالحل البسيط كي لا يبقى في حلقة مفرغة .

*** تتبع العادات :**

ان الجو العام الذي يسيطر على الفرد نظراً للعادات والتقاليد الاجتماعية المتبعة ، يحد من أي عمل ابتكاري كما يحد من إيجاد أي أمل مبتكر للمصاعب .

والانسان العادي أمام الصعاب ، يبحث عن الحلول في السوابق التي يكون قد رأى نتيجتها بدلاً من أن يبحث عن حل جديد يضيفه الى الحلول الأخرى خدمة للمجتمع .

حتى أن الأشخاص الذين يملكون قدراً معيناً من الروح الابتكارية يخشون البحث عن طرق جديدة خوفاً من الفشل وهزء المجتمع منهم .

*** عدم القدرة على إرجاء الانتقادات :**

أغلبية الناس نتيجة التربية التي تلقوها منذ صغرهم يخافون كل فكر غير منظم . وهم لا تمام عمل ما ، بحاجة الى رؤية الهدف واضحاً أمامهم .

ان هذا الواقع يجعل الكثيرين بلا عمل ابتكاري في حين أن الأصح هو ترك الأفكار الجديدة تتناوب باستمرار علينا دون الأخذ بكل ما علق في ذهننا نتيجة التعاليم المستمرة من قبل الكبار .

ويقول بعض العلماء أن ما ينفي الابتكار عند الكثيرين هو عدم قدرة هؤلاء على إرجاء انتقاد الأفكار الجديدة الى حين تبلورها . فهم ما أن تطراً عليهم فكرة مبتكرة حديثة سرعان ما يحاولون طمسها بالانتقاد .

غير أن هذا لا يعني ان الانتقاد هو عملية سيئة عند المرء إنما الانتقاد المبكر للأفكار يجعل منها فريسة سهلة للنسيان مما يبقي الانسان في مكانه دون تطور إيجابي .

* حل المشاكل بطرق سيئة :

ان الحلول السيئة للمشاكل المطروحة أمام الانسان تتأتى عن عدة أسباب :

- عدم ادراك المشكلة في كل أبعادها .
- الصعوبة في فرز هذه المشكلة عن بقية المشاكل ان وجدت .
- الأخذ بمعلومات خاطئة أو ناقصة .
- حالة ذهول تام أمام المشكلة .
- البقاء في الهوامش وعدم ادراك اللب .

ان عملية المعرفة هي الطريقة الوحيدة لإيجاد الحل المناسب لأي مشكلة تنتاب الانسان ولذلك عليه أخذ كل الأمور بعين الاعتبار لتكون حلوله حلولاً جديدة غير معروفة من ذي قبل وبالتالي لتكون حلولاً مبتكرة لم يسبقه إليها أي إنسان .

* الفوضى في الجهود :

ان غياب التنظيم العملي لحل المشاكل يمكن أن يؤدي إلى حلول غير ذات قيمة . ولعل أهم أسباب هذه الحالة هي عدم القدرة على التخيل وعدم القدرة على الحركة لمواجهة كل طارئ .

ماذا يعني « انسان قليل الحركة » ؟

ان انساناً قليل الحركة يعني أنه رجل يقوم غصباً عنه بفعل ما هو مبسّط أمامه . ويعني أيضاً أنه رجل كسول لا يمكن للمجتمع أن ينتظر منه شيئاً حتى وإن كان هذا الشيء كلاسيكياً جداً أو متعارفاً عليه في كل الأوساط .

ماذا يعني « انسان ليس بمقدوره التخيل ؟ »

إن إنساناً كهذا يحلم كثيراً في أوقات فراغه غير أنه لا يمارس حلمه وتخيلاته

فعلياً كي تكون ذات قيمة اجتماعية أو شخصية حتى . انه يقضي أيامه بالأحلام ويعيد إخفاقه في أعماله إلى سوء الحظ المتراكم عليه منذ زمن

٣ - السدود الاجتماعية :

* التعلق بالنظم القائمة :

ان النظم الاجتماعية والعادات السائدة تعطي الفرد حالة شعور بالأمان من المستقبل والمجهول . فالانسان بحاجة دائمة الى الشعور بالراحة والأمان . وهو منذ بداية خلقه ما عمل إلا من خلال هذا الشعور . فكانت التقاليد والعادات خير معين له في أوقاته العصيبة . ولذلك نراه دائماً يرفض كل جديد أكان هذا الجديد حسناً أو سيئاً . وهو حتى ، لا يضيّع وقته في أغلب الأحيان بالتفكير في حسنات هذا الجديد أو سيئاته .

ان انسان القرن العشرين نظراً للأخطار المحيطة به ؛ أفردية كانت أم نفسية يجد أن كل جديد يتقدم إليه هو عبارة عن فقدان الأمن الذاتي الذي بقي طيلة حياته يبحث عنه، وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجعل من أكثرية الناس ، مجرد أرقام تضاف الى أرقام أخرى . هو يقول مثلاً : « لماذا تريدون أن أقلب الأشياء طالما هي وجدت هكذا منذ زمن بعيد وطالما هي بوجودها الحالي تؤمن لي الأمن الاجتماعي الذي أبحث عنه ؟ » .

وهو يشعر أيضاً أن التجديد كمجرد فكرة عادية تعني الاقلال من قيم الموجود حالياً فيقول مثلاً : « لدي أكثر من مشكلة فلماذا تريدون إضافة المشاكل وإكثارها في رأسي ؟ » .

غير أن انسان اليوم قد يقبل التجديد ان تأتى هذا الأخير عن الموجودات المتعارف عليها . ولعل المثل الأكثر وضوحاً في هذا المجال هو قبول انسان اليوم بكاميرات « البولارويد » Polaroid مثلاً لأن شركة « الكوداك » أولى شركات آلات التصوير قد اخترعتها - أوقبله بالحاسبات الالكترونية الصغيرة التي يحملها

الفرد في جيبه لأن مخترعها هو شركة IBM صاحبة أولى الاختراعات
الالكترونية !! ..

*مواجهة الأفكار الجديدة :

قد يلاحظ القارئ من طريقة تصرفاته أن الأفكار الجديدة ما أن تطرأ أمامه
سرعان ما يبحث عن سيئاتها قبل بحثه عن إيجابياتها . وبالطبع نحن نحكي هنا
عن انسان لا يتمتع بالقدر الكافي من الأفكار أو بالأحرى من الروح الابتكارية .
وكما قلنا سابقاً ، ان مواجهة الأفكار الجديدة تنأتى من رفضنا للتغيير ،
أسلباً كان هذا التغيير أم إيجاباً وذلك كله ، كما ذكرنا ، لأننا بحاجة إلى ضمانات
أمنية ذاتية تؤمنها لنا التقاليد المتوارثة .

ولعل القائل : « ان الخلق هو الحجر المرمي خارج بركان العادات » كان
على حق في ما قاله ، إذ إن مواجهة الأفكار الجديدة كانت منذ بداية المجتمعات .
وقد يستغرب البعض إذا قلنا أن المخترع الكبير توماس أديسون قال مرة : « ان
المجتمع لا يمكن أن يقبل الأفكار الجديدة . لذلك نرى أن الاختراعات لا بد أن
تنتظر أوقاتاً كثيرة قبل أن يقبلها الناس . ويكون هذا القبول من كثرة سماعهم
بها » . وهذا يعني أنها لا تقبل قبل أن تصبح من العادات والتقاليد !! وهناك
أمثلة عديدة على ذلك .

قطار السكة الحديدية أثار أكثر من اعتراض وأكثر من جدل يوم وضع في
الخدمة . حتى أن مثقفين كباراً من الانكليز وقّعوا عريضة مع الفلاحين تقول ان
القطارات تضع كثيراً مما يمنع المواشي من « أخذ راحتها » في أكل الأعشاب وبما
يمنع الدجاج من التفقيس ! .

والسيارة البخارية الأولى يوم وضعت في الخدمة تقدم أكثر من شخص
باعتراضات جمة قائلين أنها من عمل الشيطان . إذ كيف تسير عربة بلا خيل !
حتى المطبعة يوم اخترعها غوتنبرغ لم تخل من الانتقادات التي لم تكن فقط

من قبل الخطاطين إنما من قبل بعض الحكام !

نحن نقرأ مثلاً في أرشيف السياسة الأمريكية أن حاكم فرجينيا سنة ١٦٧١ أعطى رأيه الرسمي في المسألة قائلاً : « أحمد الله أن هذه الآلة الجهنمية التي تعلم الناس وتكثر من تعليم كل الفئات لم تدخل ولايتي . فهي آلة تعلم الناس العصيان عن طريق تعليمهم القراءة والكتابة ! » .

وكم نشعر نحن بالحنج من بعض الحكام في أوائل هذا القرن الذين وقفوا بحماسة ضد الطباعة والتعليم !

ان كل هذا يعلمنا كم ان الانسان المبتكر على مر التاريخ قد ظلم وتعذب الى أن استطاع اختراعه أو تجديده أن يصير عادة اجتماعية . وهذا يعلمنا كم من انسان مبتكر - صامت - قتله المجتمع عن طريق دحر جديده والاستخفاف به !

✱ الشعور بالتفوق :

من بين العقد النفسية التي تصيب الانسان فترسم معالمها على أفعاله وأقواله ، عقدة الشعور بالتفوق على الآخرين التي قد تتحول الى مشكلة مستعصية إذا كان الانسان المصاب بها هو من الدرجات السفلى في المجتمع ! ودون البحث في التفاصيل يمكن أن نقول ان انساناً مصاباً بهذه العقدة هو انسان يسبقه المجتمع وهو بالتالي انسان يعيق التطور .

كثير من المدراء مثلاً يرفضون فكرة مبتكرة ويحاربونها لسبب بسيط وهي أنها متأتية من قبل موظف لديهم . وهم في ذلك يعتبرون أن كل فكرة جديدة يجب أن تكون من نتاج أفكارهم وتطلعاتهم حتى وان كانوا بلا فكر وبلا تطلعات !

✱ الشعور بعدم الاستقلالية :

مع التعقيد الحاصل في مجتمعاتنا يكون الشعور بعدم الاستقلالية دليلاً على عدم الخلق والابتكار .

فالموظف يقوم بجهد لارضاء أصحاب العمل . وابتكاره يكون في كيفية ارضائهم وطمانتهم الى سير العمل بطريقة صحيحة دون البحث في أمور تطوير هذا العمل . عدم الاستقلالية هنا يعني ان الموظف يقوم بما في وسعه لتأمين الأعمال المتعارف عليها بأفضل الطرق دون البحث في كيفية بلورتها وتطويرها في سبيل انتاج أكثر أو في سبيل خدمات اجتماعية وانسانية .

هو ينتظر التعليمات لتنفيذها بحذافيرها وفي ذلك إرضاء الرؤساء والمدراء للحفاظ على وظيفته .

ولعل عقدة الشعور بالتفوق التي تصيب أرباب العمل والمدراء هي التي تجعله يهاب كل جديد .

وهكذا نرى أن عملية التوازن الاجتماعي ، بين تتبع العادات والتقاليد وبين العمل الخلاق المبتكر ، هي عملية تسحق الفرد ولا ينجح فيها إلا من يحمل في نفسه روحاً خلاقية كبيرة لا تأبه بكل الأقاويل والصعوبات .

*** فقدان الوقت الكافي :**

ان الموظفين عادة يقضون أوقاتهم في أعمال روتينية تمنع عنهم أوقات الفراغ الضرورية لكل عمل مبتكر . فهم يردون على الهاتف ويقومون بأعمال مكتبية بعيدة كل البعد عن العمل الخلاق ولا تترك لهم الفرص المناسبة لأي تفكير أو لأي فكرة جديدة .

ان فقدان هذا الوقت يعني بكل بساطة فقدان عمليات خلق متعددة كان يمكن أن يقوم بها عدد كبير من أفراد الشعب .

*** قلة المصالح في مواجهة بعض المشاكل :**

أغلبية الناس تعمل عند الآخرين مما يجعلها بحاجة دائمة الى حلول لمشاكل هؤلاء العملية . وبالنظر الى العادات والتقاليد المتبعة يجد هؤلاء الناس أنفسهم في

حالة فرح دائم ان استطاعوا حل هذه المشاكل المتعلقة بغيرهم . ويكون
سرورهم نتيجة رضاء الآخرين عليهم .

ويقول علماء النفس ان العمل الاتكالي الذي تقوم به أغلبية الناس عن
الآخرين تمنع عنهم كل حل مبتكر لمشاكلهم وحاجاتهم الشخصية .



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie



القسم الثالث

مزايا الرجل المبتكر

الرجل المبتكر يملك عدة مزايا سنفصلها خلال هذا القسم من الكتاب .
وبالطبع وجب القول ان المزايا المطروحة هي تلك التي يتمتع بها الأكثر ابتكاراً من بين الناس .

وحسب رأي العالم النفسي أراهام ماسلو ، هناك صنفان من الابتكار .
الأول والثاني :

الابتكار الأول يكون ناتجاً عن اللاوعي . انه ينبوع الجديد المعروف عند كل الشعوب وخلال كل الأعمار . انه الابتكار الطبيعي العفوي الذي لا تحده القوانين أو الانظمة وخصوصاً أولئك الذين لديهم ميل نحو الفنون على اختلاف أنواعها .

وعلى العكس من هذا ، يكون الابتكار الثاني ناتجاً عن الوعي الكامل .
لذلك نجد هؤلاء بعيدين عن الليونة المفترضة ، شرسين ، ومقيدين بالقوانين والأنظمة الاجتماعية المعمول بها .

وهكذا حسب « ماسلو » ان الانسان المبتكر هو ذاك الذي استطاع الجمع بين الحالتين فلا يكون طفلاً ولا يكون طاغية إنما هو خلاصة الرجال والأطفال ، ويعتمد اللاوعي والوعي معاً لتقرير ما يهدف إليه .

وحده الرجل المبتكر يستطيع دحر التعاليم المتبعة للحفاظ على الحشرية والدهشة فينهل المعلومات من حوله ويخزنها في نفسه إلى حين القيام بعمل ما فتكون له خير معين .

ونتيجة هذا ، نستطيع معرفة الرجل المبتكر من كثرة المواضيع التي يمكن أن ينال منها حتى وإن لم تكن ضمن اختصاصه الفعلي . فالرؤيا الواسعة والشاملة التي يتحلى بها تحوله معرفة أشياء دقيقة ومعلومات يصعب على الآخرين الإلمام بها .

وهكذا نجده بعيداً عن الراحة كثير الانشغال لا يعجبه عجب ولا ترضيه مطلق أي فكرة . إنه رجل يركض باستمرار نحو الجديد محاولاً اكتشاف الأكثر والأعمق .

✽ انفتاح نحو اللاوعي :

ان الرجل المبتكر هو أكثر قدرة على التحاليل الصعبة وذلك لاندماجه في « الغرائب » وبعده عن التعاليم الاجتماعية . وهذا مما يساعده على أن يكون أكثر نشاطاً من غيره ، لأنه قادر على إيجاد الرباط الموحد لهذه المشاكل وإيجاد أسس الشبه بينها .

ولأنه هكذا ، نجده دائم التحمس لأفكار جديدة سواء أكانت هذه الأفكار ملكاً له ولمخيلته أم ملك الآخرين ومخيلتهم . كما نجده متحمساً لأفكار قد نجدها غير صائبة وغير ممكنة التحقيق أو حتى ، يمكن أن تندرج هذه في لائحة الأفكار المجنونة . وهو يتحمس لها نتيجة قدراته العقلية وإيمانه بها .

✽ الحشرية :

نستطيع القول ببساطة أن الابتكار يقضي بأن يحتفظ الانسان منذ صغره بالحشرية والدهشة . فالتعاليم وطرق التربية المتبعة في كل المجتمعات تتولى منذ القدم منع هاتين الصفتين من البروز والتقدم في النفسيات حتى بات الطفل

ينسأهمأ مأ أن يشب ويبءأ العمل في الءية .

وتكون النتيجة أيضاً أن أكثرية البالغين ينفرون من كل رجل ءلاق فينتقدون الأفكار المبتكرة وكل مأ هو غير مألوف بالنسبة اليهم فيكونون سءاً منيعاً أمام ءءيقها وانتشارها . لا يقبل المألوف أينأ كان وكيفأ تراءى له .

*** انسان غير مألوف :**

الرجل المبتكر يملك قدرات فكرية غير مألوفة بالنسبة الى الكثرين فهو بعيداً عن الأفكار الاجتماعية والحلول المطروءة عادة ، يستطيع إيجاد طرق تفكير جديدة وحلول للمشكلات لا يستطيع غيره إيجادها .

وهذه القدرات الفكرية التي يملكها ، ءحوله الابتعاد عن كل مأ هو مألوف ومعمول به في المجتمع . لذلك نجده دائم النجاح مسيطراً على الكثرين بهذه القدرات الغريبة غير المألوفة وغير المعمول بموجبها عند الآخرين .

ويكون نجاح انسان كهذا ، من ءلال قدرته على إيجاد الرباط الموحد بين كل المشاكل المطروءة أمامه عكس الجموع الآخرة الذين يءاولون حل كل مشكلة بمفردها .

الانسان المبتكر يستطيع حل عدة مشاكل دفعة واحدة. ان الليونة في الءية ءعني أيضاً أن الانسان قادر على تطوير نظرياته ومواقفه مع كل ءطور مستجد فلا يقف عندئذٍ على عناء أمام الآخرين تكون نتيءته تراكم الأءطاء على مءتلف الأنواع .

*** وعي المشاكل :**

لاحظ الفيلسوف « جون ديوي » ان الابتكار لا يتءسد بالأفكار بقدر مأ يتءسد أولاً بالنظرة الصائبة أمام القضايا وهكذا نجد الانسان المبتكر ينظر الى المشاكل بطريقة مءتلفة عن غيره فهو يطرءها أمامه ويشرءها قبل البءء فيها . ومن هنا يقول « ديوي » ان طريقة طرح المشكلة هي نصف حلها الصائب .

ومن هنا أيضاً نجد أن الانسان المبتكر لا تعجبه أفكار الآخرين ولا طرق حلولهم للمشاكل حتى قيل فيه أنه يشبه ذاك الذي يحمل شوكة في قدمه فلا يستطيع الجلوس أو المشي دون أن يحاول دوماً اقتلاعها . وهكذا نجد المبتكر .

* سهولة التعبير :

أولى مزايا الرجل المبتكر هي سهولة التعبير التي تخوله إفهام الناس مطلق أي قضية أو فكرة .

هو قادر على إيجاد عدة أفكار وتعابير لبسط القضية وتبسيطها . وهو قادر على إيجاد عدة حلول لمشكلة معينة خلال لحظات أو دقائق . وذلك لتمتعه بقدرة على التخيل تفوق بمقدار واسع قدرات الآخرين .

ولعرفة نسبة سهولة التعبير عند أي فرد عمد أطباء علم النفس الى إجراء اختبار بسيط ، يعدد الفرد بموجبه عدة طرق استعمال لشيء معين . مثلاً : إذا أخذنا القرميد الأحمر . ماذا يمكن أن نفعل به ؟

* الليونة :

ليونة الأفكار من مزايا الرجل المبتكر . فهي التي تساعد على إيجاد أكثر من حل للمشاكل المطروحة أمامه دون أن يفقد من جراء ذلك خط الحل الرئيسي . وهكذا في حال أي تغيير للمعطيات يستطيع إبدال الحل بآخر .

* الذاكرة القوية

الرجل المبتكر هو انسان قوي الذاكرة . وهنا وجب علينا ان نتمقق قليلاً في هذا الموضوع .

ما هي الذاكرة ؟ سؤال يطرحه الناس منذ آلاف السنين ، وهم يستنبطون الوسائل التي تساعد على التذكر . ومنذ بضع عشرات من السنين بدأ العلماء يفهمون الميكانيكية البيوكيماوية التي تساعد على التذكر والنسيان .

بعد التاريخ والكتابة تبدأ المحاولات لتنشيط الذاكرة . وفي بداية هذه الحركة كان يشترك فيها علماء من جميع البلدان والجنسيات . ومنذ عشرين سنة تحول الاهتمام الى دراسة اللغة . ولكن في السنوات الاخيرة اقتنع عدد كبير من علماء النفس وخبراء الاعصاب والاختصاصيين في الدماغ والبيولوجيين ان تحت الكلمات مجموعة من الذكريات . وتبقى الذاكرة احد أهم الالغاز التي تتحدى ذكاءنا المسكين . واذا لم يطرأ طارئ فإننا سنصبح بعد سنوات قادرين على معالجة بعض امراض الذاكرة كما نعالج الانهيارات وقد نلم ايضاً بمشكلة الشيخوخة .

وقبل ان نشرح هذا التقدم في مجال قدرة الذاكرة عند العلماء لا بد من الاشارة الى مصير الذاكرة عند الناس الآخرين كالمدرسين مثلاً . فقبل نصف قرن كان الأولاد يحفظون غيباً بعض الاشعار وجدول الضرب وغيرها . وبعدها اصبح المراهقون يحفظون بالتكرار . وعلى كل حال فإن المدرسين في أيامنا هذه عادوا يركزون على صقل ذاكرة الاطفال .

وفجأة نسفت السياسة التعليمية ، وقيل ان الذاكرة هي ذكاء الاغبياء ، ولكن هذه النظرية ليست صحيحة . وهنا نحضرنا صورة سولجنتسين المنشق السوفيائي الشهير فهو لم يحدثنا عن الغولاق فحسب ، بل أنه نشط الذاكرة ، فكلنا يتذكر ذلك العملاق ذا العينين الزرقاوين ، وهو يطل عبر الشاشة الصغيرة ، ويروي تفاصيل مأساته . من اين استطاع ان يسرد ذلك العدد الضخم من الاسماء والتواريخ والاحداث التي اذهلت الجامعيين .

كان يجيب وقد حفظ كل شيء في ذاكرته . وطوال الليالي السوداء كان يتذكر خلال ساعات كل ما عاشه من احداث وتعلمه منذ بداية نزوله الى ذلك الجحيم . وبفضل ذلك نجح في ان يخرج من الاتحاد السوفيائي كنزاً تاريخياً حقيقياً .

وهنا يطرح السؤال : هل ان سولجنتسين يتمتع بموهبة خاصة ، ام ان كل انسان يمكنه ان يكون هكذا والى أي حد ؟ وهكذا عاد موضوع الذاكرة يطرح نفسه من جديد .

في الحقيقة لم يحوّل العلماء انظواهرهم قط عن هذا اللغز المثير . فمنذ ايام ديمقراط حتى المختبرات الحالية الخاصة بالاعصاب ، هناك آلاف الفضوليين والشعراء والعلماء الذين ركزوا اهتمامهم على سر الذاكرة . وقد خصصت مكتبات كاملة تحت اسم « علم النفس » لهذا الموضوع ، تضمنت اقتراحات كثيرة ، ولكنها لا تستند الى ثوابت .

وهذه بعض الامثلة : تحاول مثلاً ان تتذكر المقطع الثالث من السيمفونية التاسعة فيحضرك . وبدون آلات موسيقية وبدون تميمة تسمعها في رأسك فكيف يتم ذلك ؟

انت تعلم بصورة آلية (لأنك سمعت أو قرأت) ان جهازاً خاصاً يلعب دوراً أساسياً في ميكانيكية التخزين - ولكن أين تخزن المعلومات ؟ من ينظمها ويجدها ويعيد نقلها ؟ وما هو النسيان ؟

هناك مئة سؤال وألف سر على الأقل حتى يومنا هذا . ذلك ان في الولايات المتحدة واوروبا اليوم عدداً من العلماء الذين بدأوا يدركون بعض عناصر هذه الميكانيكية ويثبتونها .

ولا نبعد كثيراً . ولنسأل انفسنا بأي وسيلة استخدم الناس ذاكرتهم ؟ ثم كيف شرحوا عملها ؟ وعندها يمكننا فهم ما بدأ اختصاصيو الدماغ يقولونه .

كيف تستخدم الذاكرة ؟

إن هذا السؤال يبدو تافهاً . ففي كل حركة يقوم بها الانسان تلعب الذاكرة دورها ، دون ان يسترعي ذلك انتباها ، ولكن يمكن للانسان ان يتذكر . ويمكنه

ان يشغل ذاكرته حسب ارادته . فهذه المناقشة مثلاً افسدت عليه عطلته . اذاً بإمكان كل منا ان يمرن ذاكرته يومياً وآلياً .

وما هو فن الذاكرة ؟ انه مجموعة عمليات تشغيل الذاكرة التي نقلت اليناعن الاغريق والرومان وغيرهم . وفي اشارة الى فن الذاكرة نورد الحادث التالي من تاريخ الميتولوجيا : خمسة عشر شخصاً كانوا يتناولون طعام الغداء داخل خيمة في تساليا ، وخلال المأدبة استدعي احدهم الى الخارج لمقابلة شخصين طلبا بمقابلته فخرج ، ولكنه لم يجد أحداً ، وعندما همّ بالدخول، انهارت الخيمة وقتل جميع من بداخلها ، وبات من المتعذر التعرف عليهم ، ولجأ الجميع الى الشخص الذي نجا ، فلم يستطع التعرف عليهم ، وأخيراً وتحت الحاحهم ، ابتكر طريقة جديدة : تذكر اسم الذي كان يجلس على يمينه ثم ذلك الذي كان على يساره وبهذه الطريقة استطاع تحديد هوية الضحايا ، وبدون ان يعلم ابتكر فن الذاكرة . اذاً هناك فن التذكر النظري : فالأساء علق على صور . ويحدد شيشرون هذه التقنية بأسطر قليلة ، لا نزال قادرين على استخدامها حتى اليوم : « لتمرين مؤسسة العقل ، يجب ان نختار او نفكر بأماكن معينة . ويجب تكوين صور للأشياء التي نريد حفظها ، ثم نعيد ترتيب هذه الصور في اماكن مختلفة . وعندها فإن تنظيم الامكنة يحفظ تنظيم الاشياء . كذلك فإن الصور تذكر بالأشياء نفسها فالأمكنة هي لوحات الشمع التي نكتب عليها ، والصور هي الحروف التي نخطها » .

والجدير بالذكر ان اناساً سبقوا سقراط في بداية عصر النهضة نقلوا الاشياء بنسبة ٩٠ بالمئة عن طريق السمع . وكان عليهم ان يتذكروا بعدما فقدت المخطوطات . لقد كان كل واحد يحاول ان يبذل نظام التذكر . وحوالى عام ١٥٣٠ اشتهر شخص يدعى جيوليوكاميليو في ايطاليا وفرنسا . فقد صنع نموذجاً مصغراً يسمح للمالكه بألا ينسوا شيئاً . وهو عبارة عن صفحة تضم اشارات تساعد على تذكر الاشياء التي تهمل الانسان . وكان ذلك امراً لا بأس به بالنسبة لذلك العصر .

وكان على الناس ان ينتظروا منتصف القرن السابع عشر (حوالى ١٦٥٠) عندما تمكن علماء من فرنسا والمانيا وانكلترا من ابتكار تقنية جديدة مرتبطة بالأرقام والأحرف . وفي عام ١٨٠٦ جمع العالم غريغوار فينيغل هذه التقنية بشكل منظم ولم يعد أمام الانسان سوى ابتكار الكمبيوتر ، وقد توصل الى ذلك ، اليوم ، بحيث لم نعد نعرف كيف نتذكر . وبالطريقة نفسها فإن اولادنا لن يعرفوا في المستقبل كيف يحسبون بعقولهم . فهل تعمل هذه الابتكارات على اقفارنا أم على تحريرنا ؟ انها تحقق الاثنين معاً .

هذا باختصار تاريخ العلاقات بين الانسان وذاكرته . ولكن كيف شرح اجدادنا عمل هذه الميكانيكية غير الكاملة ؟ لقد كان عليهم انتظار نهاية القرن الثامن عشر وخصوصاً بداية القرن التاسع عشر حتى يبدأوا بالخروج من الضباب ، عندما اكتشف العالم الفرنسي تيودول ريبو في عام ١٨٨١ نظرية جديدة . ان كل الناس يعملون على الذاكرة انطلاقاً من ضدها اي النسيان . لماذا نتذكر وجه شخص ونسى اسمه ؟ ولماذا ينسى المسنون ما فعلوه بالأمس ويتذكرون ما حدث لهم في طفولتهم ؟

ان العلماء يميزون اليوم بين ذاكرتين : الذاكرة الحديثة والذاكرة القديمة وهذا يعرفه كل طبيب لأن كل الناس يلاحظونه يومياً . ففيما يكون احد الاشخاص مثلاً يطلب رقماً هاتفياً من دليل الهاتف يقاطعه شخص آخر فينسى الرقم ويعود الى الدليل .

وقد قيست قدرة هذه الذاكرة القريبة : تتلى امامك مثلاً عشر كلمات ويطلب اليك اعادة سردها فتتذكر الكلمتين الأولى والاخيرة ، وتنسى بعض الباقي . واذا كان الأمر معقداً ، وطلب اليك القيام بعملية حسابية عقلية قبل اعادة سرد الكلمات فلا تتذكر سوى الكلمة العالقة في رأسك . وهذا يعني ان هذه الكلمة أو الكلمات كان لديها الوقت لتختزن في طبقات الذاكرة

القديمة . واما الباقي فينسى تماماً .

ولكن يجب الا نهمل دور الذاكرة القريبة . فهي التي تعمل بصورة دائمة في حياتنا اليومية . فعندما نقود سيارة تسجل الذاكرة القصيرة الحركات التقليدية ، وتخطر الدماغ بها ، فيرسل بدوره الأمر الى اليدين والقدمين وهي التي تنسى فوراً ما هو غير ضروري .

وتتم الأمور وكأن هذه الذاكرة تحذف تلقائياً كل ما يبدو لها غير مهم ولا تستطيع الذاكرة القريبة ان تمتص اكثر من سبعة مبادئ . ووجودها تثبته تصرفات بعض ضعيفي الذاكرة . انهم لا يتمتعون بالذاكرة القديمة ، ولكن ذكاءهم لا يتأثر ، فلو وضعوا امام رقعة شطرنج لأجادوا اللعب ، ولكنهم بالمقابل لا يستطيعون لعب البريدج .

والذاكرة القديمة لغز غامض للغاية ويصعب قياسه ، وقد قدم بعض علماء النفس صوراً قديمة ، تعود الى اكثر من خمس وثلاثين سنة خلت ، لرجال ونساء فكانت النتيجة مذهلة ، اذ ان ثماني صور من اصل عشرة تم التعرف عليها ، حتى تم تذكر الاسماء وان بصعوبة ، وهنا تجدر الاشارة الى ان الانسان بعد الخامسة والستين تصبح ذاكرته غير دقيقة . وللوهلة الأولى فإن النسيان يضرب بطريقة غير مميزة مجموعة ميكانيكيات التذكر . وتبقى الذاكرة البصرية الاكثر مقاومة .

وهنا يطرح السؤال : هل هو التخزين الذي يتلف ام ميكانيكية الادراك ؟ هنا ايضاً تتدخل التجربة اليومية لتقدم الجواب : « ان اسمه على رأس لساني . . هذا الاسم مؤلف من ثلاثة مقاطع انني متأكد . . » وغمضي الساعات دون تذكر الاسم ويتوقف البحث . وفجأة تطلع المقاطع الثلاثة . كل شيء يحدث وكأن الدماغ تابع بحثه . اذاً فإن قدرة التخزين تقاوم اكثر

من جهاز الفرز . ان هذا امر ممكن ولكنه ليس اكيداً . وهل يمكننا ان نميز بين الواحد والآخر ؟ وبصورة اشمل بأي حق نحاول ان نفصل بين الذاكرة والدماغ ؟ اين هو ذلك المعهد العظيم حيث لتجميع المعلومات معنى ؟

جواب محدد ولو لمرة واحدة : ان الدماغ كله يخزن ويستخدم الذاكرة ولكن هناك بشكل او بآخر منطقة للقرار . هناك نوع من الدماغ داخل الدماغ وهو الذي يختبر المعلومات الجديدة ويقارنها بتلك التي يعرفها ويقرر ان تلك المعلومات هي جيدة او سيئة بالنسبة للجسم ، ثم يرتبها في مكانها . وباختصار فإن الدماغ البشري هو اكثر اجزاء الجسم تعقيداً ، والاكتشافات التي تمت من خلال التجارب على الجرذان وربما على القروود غداً ، ستتقدم محطات لا حلولاً . فحتى اليوم لم يتواجد في العالم رجلان متشابهان ، والتجارب التي يقوم بها كل منا طول مدة وجوده على الأرض هي فريدة . ويانتظار ان يقدم لنا العلماء مفاتيح الذاكرة يبقى من الافضل اكمال التعليم . وعندما نخاف ان ننسى علينا ان نسجل . لقد كان اينشتاين يسجل كل شيء والفن الذي تصوره الاغريق والرومان لا يزال صالحاً ، انه لا يضعف الذكاء بل على العكس يغذيه .

* الطفل المتفوق

وهنا ، لا بدّ من الاشارة الى الدراسة التي اعدّها الدكتور عبد الله عبد الدايم المنشورة في مجلة العربي حول امكانية تربية الطفل تربية صحيحة تكون نتيجتها طفلاً متفوقاً يعتز به مجتمعه . يقول :

■ نسمع ونقرأ كثيراً في العقد الاخير اخاصة ، عن شأن السنوات الأولى من العمر في غو الفرد الفكري والعلمي في المقبلات من أيامه .

بل كثيراً ما نسمع ونقرأ ان خبرة هذه السنوات الأولى التي تمتد بين الولادة والخامسة من العمر تكاد تكون حاسمة في تكوين الانسان ، اليها

يرجع الأمر فيما يحققه من نجاح وتفوق في حياته كلها .

وما نسمع ونقرأ ليس مجرد تكرار للمسلمات الفرويدية القديمة حول الأهمية الانفعالية والجنسية لهذه الفترة من العمر ، بل هو يجاوزها الى ما هو ابعد مدى ، حين يرى في هذه الفترة المجال الخصيب لتكوين الذكاء المتفوق والقابليات المتفتحة ، والتربة الصالحة لخلق تباشير الابداع وبراعم العبقرية لدى الفرد .

ومن هنا ترتفع الاصوات عالية منادية بأهمية العناية برياض الاطفال بل بأهمية العناية بالمرحلة السابقة على الحياة المدرسية .

التربية من المهد اساس كل تربية لاحقة

وكما يترث المربون اليوم عند الدور الكبير الذي تلعبه تربية الراشد في المرحلة اللاحقة على حياته المدرسية ، نراهم يقفون وقفة اكبر عند الدور الخطير الذي تلعبه تربية الطفل في المرحلة السابقة للدراسة الابتدائية ، بل السابقة لمرحلة رياض الاطفال (ويندرج ذلك كله تحت ذلك شعار الذي غدا شعار التربية الحديثة في السنوات الاخيرة ، نعني شعار التربية الدائمة المستمرة ، التربية « من المهد الى اللحد ») .

والدراسات التجريبية العديدة التي قامت هنا وهناك في ارجاء العالم ، تنتهي الى تأكيد الدور الكبير لمرحلة الطفولة الاولى ، والى تأكيد جملة من الحقائق أهمها :

١ - الاطفال الذين تلقوا تربية سابقة على الدراسة الابتدائية (في رياض الاطفال او في البيوت) يصيبون في الدراسة الابتدائية وما يليها نجاحاً اكبر من سواهم . والاختفاق المدرسي لديهم بالتالي دونه عند من عداهم .

٢ - الاطفال الذين هيئت لهم مثل هذه التربية المبكرة اكثر نجاحاً في الحياة غالباً ، وقدرتهم على التكيف مع المجتمع والبيئة أوفر وأخصب .

٣ - قدرة الطفل على التعلم في السنوات الأولى من العمر أكبر بكثير مما نقدر ، ومما كان يظنه علماء النفس فيما مضى . وكثير من التجارب أثبتت - خلافاً للاعتقاد الذي ساد رداً من الزمن - ان في وسعنا ان نقدم للطفل منذ طور مبكر جداً مفاهيم ومعاني ومعارف تيسر تكوينه وتسعد قابلياته وذكائه ، وتعهده في الوقت نفسه اعداداً افضل واسرع . وبهذا نصيب هدفين في آن واحد : أولهما تيسير نمو الطفل وبزوغ قابلياته واتقاد ذكائه ، وثانيهما تقديم المعارف والحقائق في وقت ابكر ، وفي مدة اسرع ، تتناسب وحاجتنا الى الاعداد السريع في عصر يتقدم فيه العلم بخطى سريعة ، وتتسع فيه الثروة العلمية التي يحتاج الفرد الى تعلمها .

٤ - العناية بالسنوات الأولى من العمر ليس من شأنها ان تزيد في قدرة الفرد على التعلم فحسب ، بل من شأنها ان تزيد من طاقة ذكائه ، ومن مدى قابلياته .

الذكاء يزيد وينقص

هذه الحقيقة الاخيرة ، جديرة بأن نتريث عندها لما تحملها من معاني جديدة ، ومن ثورة على نظرتنا التقليدية الى ذكاء الانسان وقابلياته :

لقد ظل علماء النفس فترة طويلة من الزمن - وما يزال بعضهم حتى اليوم - يعتقدون ان ذكاء الانسان امر فطري ثابت تحدده عوامل الوراثة ولا شأن فيه للبيئة . وكلنا يعلم نظرية « ثبات نسبة الذكاء » لدى الفرد منذ الولادة حتى خاتمة حياته ، تلك النظرية التي حرص عليها علماء النفس طويلاً ، بل قدسوها طويلاً ، وما تزال عزيزة على بعضهم حتى اليوم ، لا يفارقونها الا في كثير من اللوعة والحذر .

غير ان الدراسات الحديثة الكثيرة بدأت تثبت يوماً بعد يوم ان « ثبات نسبة الذكاء » موضوعة تحتاج الى فضل من تمحيص ، وان كل شيء لدى الانسان قابل للنماء والتكامل ولو بمقدار . ولقد كشفت ابحاث كثيرة عن ان

الترباط غير قائم في الواقع بين نسبة الذكاء التي نحصل عليها من العمر ، ونسبة الذكاء التي نحصل عليها لديه عندما يكون في قرابة الثالثة الى السادسة من عمره أو التي نحصل عليها بعد ذلك عندما يجاوز الثانية عشرة من عمره . وأثبتت دراسات حديثة كثيرة ان مستوى الذكاء لدى الطفل يتأثر تأثراً واضحاً بالبيئة العاطفية التي يحيا فيها ، وبمقدار العناية التي يلقاها من البيئة العائلية خاصة ومن البيئة الاجتماعية عامة .

ولن نخوض في هذه الابحاث المتوالدة المتكاثرة التي ذاعت في السنوات العشر الأخيرة خاصة ، مؤكدة تأثر الذكاء بعوامل البيئة من حولها وبالبيئة التربوية المثقفة التي ينشأ فيها الطفل . كما أننا لن ندخل في ذلك الجدل - القديم الحديث - بين انصار الطبيعة والفطرة وانصار البيئة والتربية ، اذ نرفض غلو كليهما ، ونجنى الى الموقف العلمي الذي يقرر في النهاية أن لا شيء في حياة الفرد ونموه يمكن ان يعد نهائياً ، بما في ذلك استعداداته الموروثة التي تحمل من امكانات التفتح والتشكل الجديد الشيء الكثير ، وما نريد ان نخلص اليه هو أن هذه الابحاث القت ضوءاً جديداً على أهمية السنوات الأولى من العمر ، وعلى الدور الذي تلعبه التربية (في المنزل وسواه) في تكوين ذكاء الافراد خاصة وفي تكوين شخصيتهم عامة . ومن هنا جاء هذا التأكيد على التربية السابقة للمدرسة Preducation School في شتى اشكالها وصورها .

في مقدور الآباء أن يخلقوا من اطفالهم متفوقين وعابرة

وهكذا بدأنا نسمع شعارات جديدة ، فيها الكثير من الجذب والاغراء ، تهيب بالآباء أولاً ، وبرياض الاطفال ثانياً ، ان يقدموا لأبنائهم وأطفالهم ذكاء متفوقاً ، وان يخلقوا منهم عابرة ومبدعين . وأصحاب هذه الشعارات يحملون في جعبتهم جملة من الأدلة لا مجال الي تعدادها ، ونكتفي بذكر القليل منها :

١ - للبيئة المادية والطبيعية التي يحيا فيها الطفل دور في تحديد ذكائه وقابلياته . ويكفي ان نذكر على سبيل المثال لا الحصر ان نوع الغذاء الذي يتلقاه الطفل يلعب دوراً في نسبة ذكائه ، كما اثبتت ابحاث كثيرة أجريت على الاطفال المحرومين من الغذاء الكافي ولا سيما الغذاء الذي تتوافر فيه بعض المواد البروتينية وسواها .

٢ - للبيئة الاجتماعية التي يحيا فيها الطفل دور أكبر في نمو ذكائه وقابلياته وشخصيته . ولا حاجة ههنا الى ان نذكر بالابحاث الكثيرة التي قام بها علماء الانثروبولوجيا والاجتماع ، والتي أوضحت دور « الثقافة » الخاصة بكل مجتمع (بالمعنى الذي يحدده الانثروبولوجيون حين يعنون بالثقافة انماط السلوك السائدة في مجتمع دون آخر) في التكوين النفسي لافراد ذلك المجتمع وليس من الغلو ان نقول - انطلاقاً من هذه الدراسات - ان لكل مجتمع نموذجه الانساني الخاص به .

٣ - الدراسات التي أجريت على الاطفال في دور الايتام ، وعلى التوائم ، أكدت أثر البيئة في التكوين العقلي للطفل . ولا مجال ههنا للاسهاب في هذه الدراسات . وحسبنا ان نذكر انها كشفت عن أثر « الدور الفعال » الذي تلعبه البيئة المنزلية في نمو ذكاء الطفل وقابلياته ، وبينت ان غياب هذا الدور الفعال - كما في دور الايتام ، وفي الاسر ذات الاولاد الكثيرين - يؤدي الى هبوط واضح في نسبة الذكاء نفسها . وحسبنا ان نذكر كذلك ان الدراسات التي أجريت على التوائم الحقيقيين (الذين ينقسمون من بيضة واحدة) بينت ان نسبة ذكاء كل من التوأمين تختلف اذا ما اختلفت البيئة التي يحيا فيها كل منهما (وقد يصل هذا الاختلاف الى حدود ٢٤ نقطة في سلم الذكاء) .

٤ - الدراسات التي قام بها بعض الباحثين حول مشاهير الرجال والعابرة عبر التاريخ (من مثل الدراسات التي قامت بها كوكس Cox

وشملت السير الذاتية لثلاثمائة عبقرى (أكدت - بعد التحليل - الدور الذي لعبته البيئة المنزلية في تكوين هؤلاء العباقرة ، وبينت ان معظم هؤلاء هيئت لهم منذ الطفولة المبكرة عناية تربوية كثيفة من قبل آبائهم او أمهاتهم من حولهم) تشهد على ذلك السير الذاتية لامثال ليبنيس Leibentis وجون ستوارت ميل Jhon Stuart Mill وغوته Goete وسواهم) .

وسائل تكوين الاطفال المتفوقين

تلك كلها أدلة تشهد على أهمية البيئة التي تقيض للطفل في سنواته الأولى في تكوين ذكائه وقابلياته وشخصيته . غير ان ما هو أهم من هذه الأدلة وما هو أهم من تأكيد اثر خبرة السنوات الاولى في تكوين الانسان ، ان نشير الى ان هذا الاثر لا يتم الا اذا توفرت في التربية التي نقدمها خلال هذه السنوات الأولى شروط عديدة، ووسائل جديدة . فليست اي عناية تربوية يقدمها الآباء لأبنائهم جديدة بأن تفتح ذكاءهم ، وتفتح قابلياتهم ، وتطلق مارد العبقرية لديهم . بل قد تؤدي العناية التربوية المغلوطة الى عكس هذه النتائج ، وقد تكون سبباً في خلق افراد غير اسوياء ، يشكون طوال حياتهم من سوء التكيف الانفعالي والعقلي .

ويطول بنا الحديث ان أردنا ان نشير الى الشروط والوسائل اللازمة لتوفير البيئة التربوية الفعالة المنتجة خلال سنوات الطفل الأولى . ونكتفي بذكر بعض الحقائق العامة التي كشفت عنها الدراسات :

١ - ان استخدام وسائل تربوية فعالة وحديثة وناجحة يجعلنا قادرين على ان نعلم الاطفال منذ طور مبكر كثيراً من الحقائق العلمية التي كنا نحسب انها لا تصلح الا لسن متأخرة . فلقد أثبتت تجارب عديدة ان في وسعنا - باستخدام طرائق صالحة - ان نعلم اطفالاً بين الثانية والخامسة من العمر الضرب على الآلة الكاتبة والقراءة والكتابة والاملاء بيسر واغراء ودون اي ارهاق . بل أثبتت ان في وسعنا - بفضل مثل هذه الطرائق ان نقدم

للأطفال منذ طور مبكر مفاهيم رياضية وعلمية عديدة ، كأن نعلم اطفالاً في سن الخامسة كثيراً من الاسس النظرية للرياضيات أو أن نصل بهم الى استخدام المعادلات الجبرية بل الى ابتكارها منذ سن التاسعة . ومثل هذه الحقائق كانت - كما نعلم - سبباً في انقلاب مناهج التعليم في كثير من بلدان العالم في السنوات الأخيرة (ولا سيما في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة) . وبفضل مثل هذه الطرائق يتم اليوم الربط الوثيق بين مناهج التعليم في مرحلة رياض الاطفال وفي المرحلة الابتدائية وبين مستلزمات عصر العلم والتكنولوجيا . وبالركون الى هذه الطرائق استطاع بلد كالاتحاد السوفياتي ان يختصر مرحلة الدراسة الابتدائية سنة واحدة مع جعل الدراسة فيها الصق بحاجات التكوين العلمي والعصري .

٢ - لا بد في سبيل ذلك ان يحيط المربي علماً - ولا سيما في رياض الاطفال وفي المدرسة الابتدائية - بقوانين النمو البيولوجي والنفسي والاجتماعي للطفل ، وان تكون لديه دراية عميقة بأحدث ما انتهت اليه الدراسات في هذا الميدان .

٣ - هنالك دون شك جملة من المبادئ والقواعد الخاصة بأساليب تربية الاطفال في كل سنة من سنوات العمر الأولى . وهذه المبادئ تبين ما ينبغي ان يقدم للطفل من خبرات وتدريبات ومعارف في كل من هذه السنوات . ومن هنا تأتي اهمية الاعداد الدقيق والرصين لمعلمي رياض الاطفال .

لا بد من اعداد الآباء ،

ومع ذلك لا يجوز أن يقتصر الأمر على المعلمين في رياض الأطفال ، بل لا بد ان يتلقى الآباء انفسهم حظاً من الاعداد ، يجعلهم يدركون بعض المبادئ العامة في تربية الاطفال الصغار . وهذه الحقيقة الأخيرة هامة ، لأن الطفل أولاً لا يرتاد روضة الاطفال الا حوالى الثالثة من العمر ، ولأن كثيراً من الأطفال في معظم بلدان العالم لا تهيأ لهم ظروف ارتياد رياض الاطفال .

وحسبنا ان نذكر ان نسبة الاطفال في البلاد العربية الذين يرتادون رياض الاطفال لا تتجاوز ٣٪ من مجموع الاطفال الذين هم بين سن الثالثة والخامسة . واذا استثنينا بلدين عربيين هما الكويت ولبنان ، نكاد لا نقع على اي عناية تذكر بالتعليم السابق على المرحلة الابتدائية في أي بلد عربي .

وواضح أن توفير رياض الاطفال - على أهميته القصوى - ما يزال صعب المنال لكثير من بلدان العالم التي تنوء بأثقال التعليم الابتدائي وما بعده ، والتي لا تتوافر لديها الامكانيات المالية والبشرية لمراحل التعليم التقليدية ، وهيئات بالتالي ان تتوافر لديها امكانيات التعليم في مرحلة رياض الاطفال .

ومن هنا لا بد من التفكير في حلول واقعية ، قوامها الاعتماد على الآباء أولاً ، وعلى تزويدهم بالدراية اللازمة وبالدربة الضرورية من اجل تربية أطفالهم وتوجيههم منذ طور مبكر .

دور وسائل الاعلام الجماعية وجهود المؤسسات الخاصة

يضاف الى ذلك انه من الممكن والواجب ان يستعان في هذا المجال بوسائل الاعلام الجماعية ولا سيما التلفزيون ، وفضلاً عن هذا كله لا بد من الاستعانة ببعض الجهود الاهلية الخاصة التي يمكن ان تقوم بها جمعيات او منظمات أو جماعات من الآباء ، من اجل توفير انواع من التربية السابقة للمدرسة الابتدائية . ولعل للجمعيات النسائية دوراً تلعبه في هذا المجال .

العناية بالطفولة تعني العناية بمنابع الابداع لدى الأمة

وأياً كانت الحال ، فالقصد هو منح مرحلة الطفولة الأولى حظها من العناية ، وبذل الجهود الواسعة في سبيل استخراج طاقات الانسان الكبيرة التي يتفتح عطاؤها ويجزل حين يتاح لهذه المرحلة من العمر ما هي جديرة به من رعاية .

وهي بالقليل ان يعمل اي مجتمع ، وأن يعمل مجتمعا العربي - وسواه من المجتمعات النامية المتعطشة الى قوى الابداع والعطاء - على اطلاق الشرارة الأولى للتفوق الفكري والعلمي لدى أفرادها وان يحرص على التفجير الاكمل والأمثل لاحتياطي الذكاء والقابليات لدى أطفاله .

ان حلم الآباء في أن يجعلوا من أبنائهم عباقرة ومتفوقين - غدت له مقوماته وأصوله ، وما عليهم الا ان يجهدوا للبحث عن وسائل تحقيق هذا الحلم . وان طموح المجتمعات الى تكوين الافذاذ القادرين على دفع عجلة التقدم فيها يجد جذوره العميقة فيما تقدمه هذه المجتمعات من عناية تربوية ببراعمها الصغيرة التي تحمل امكانات الخصب والعطاء الكثيرة . وان طموح مجتمعاتنا النامية خاصة الى قفزة سريعة في معارج التحديث ومراقي العلم والتكنولوجيا ، يجد منطلقه ومتكاه في أن تبدأ هذه المجتمعات من حيث ينبغي ان تبدأ ، وفي أن تقدر السنوات الأولى من العمر حق قدرها ، وان تدرك انها التربية الاساسية لتنمية طاقات الخلق والابداع ، ولتكوين الاتجاهات العلمية والتكنولوجية اللازمة لدخول العصر .

ان تكوين روح الخلق والابداع Creativity غدا مطلباً أساسياً من مطالب التربية في العالم . ويزور هذا التكوين وجذوره تسقى ماءها وحياتها مما توفره لتربة الطفولة الأولى من حرث وغذاء .

ولتبيان تأثير البيئة على الاطفال ومدى علاقتها على مستقبلهم الفكري نورد البحث الذي كتبه الدكتور عبد الستار ابراهيم استاذ علم النفس الاكلينيكي المساعد في جامعة الكويت وجامعة وين في امريكا . يقول الدكتور عبد الستار :

ان ثمة شبه اتفاق بين البحوث النفسية الحديثة والسير الذاتية التي كتبت

عن العديد من المفكرين او كتبوها هم عن انفسهم ، على ان المبدعين عاشوا في طفولتهم حياة تختلف عن غيرهم في مظاهر متعددة . فحاجتهم للتعبير عن الذات منذ البداية اقوى ، وتجذبهم الاشياء الناقصة والمجهولة والصعبة وتسيطر عليهم دوافع قوية لاثارة الاسئلة وطلب الايضاحات وتشتد دوافعهم للاستغراق في العمل والنشاط العقلي اكثر من غيرهم فيغامرون احياناً ، ويشاكسون احياناً ، ويؤكدون فرديتهم في التعلم المستقل في اغلب الاحيان .

ومن المؤكد ان طفولة من هذا النوع قد تثير للطفل مشكلات نفسية ، تتعلق بعضها بالتوافق الاجتماعي ، ربما مع اقرب الناس كالاصدقاء والزملاء وافراد الاسرة ويتنبه الدكتور «بول تورانس» أستاذ علم النفس التربوي بجامعة جورجيا الى شيء من هذا فيرى ان التعبير المبكر عن الابداع غالباً ما يوقع الاطفال المبدعين في مشكلات توافقية رئيسية ، اذ يبعدهم عن الآخرين أو يبعد الآخرين عنهم - مما يجعلهم يذوقون طعم الغربة والاغتراب مبكراً .

ونحن في موضوع كهذا نخطئ خطأ جسيماً اذا لم تكن بصيرتنا بالمشكلات التي يثيرها التعبير المبكر عن الابداع بصيرة واضحة وواعية وهي - في اقل الاحوال - تجنبنا تكرار اخطاء تربوية قد تبدو بسيطة ولو انها في الحقيقة تفتك بأكثر الامكانيات شاهداً على اعجاز الانسان وتفوقه .

ليس في الكتب وحدها

وثمة اجماع على ان المبدعين قد نشأوا في بيئات امتيازت بالتحفز والاثارة الذهنية . ومن المرجح ان يكون ذلك من الاسس التي تساعد الشخص فيما بعد على التفاني والاخلاص لعمل علمي او بيئي .

وتمتاز البيئة او الاسرة التي تشجع على الاثارة الفعلية بمظاهر منها : شيوع

قيم ثقافية او وجود أحد من افراد الاسرة المقربين (أب، او أخ ، أو أم ، أو جد . .) ممن يولي اهتمامه لهذا الجانب الثقافي . يتذكر الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر شيئاً من هذا القبيل عن الطفولة :

« في حجرة مكتب جدي كانت الكتب في كل مكان ، وكنت لا اعرف القراءة بعد . ومع ذلك فقد كنت اجعلها هذه الحجرة المرفوعة ، وسواء كانت قائمة أم متزاحة كقطع الطوب فوق أرفف المكتبة أم منفصلة بعضها عن بعض . فقد كنت اشعر بان ازدهار عائلي موقوف عليها » .

وذكر « برتداند رسل » أن والده كان يميل للفلسفة والدرس وكان متحرر الفكر وكان يملك مكتبة غنية وكانت امه بالمثل تفيض بالحياة والقدرة على الابتكار . اما غوته فقد اعتادت أمه ان تقرأ له بصوت عال في طفولته المبكرة . وبهذه الطريقة استطاع ان يلم بالادب الانجليزي الماماً كبيراً في السنوات الاولى من العمر فقرأ معها شكسبير وملتون وجين اوستن وغيرهم (صفحات متفرقة من سيرتي الذاتية ، لبرتراند راسل) .

والحقيقة ان التحفيز الثقافي قد يمتد لاعمق من وجود كتب او مثقفين في داخل الاسرة كما هو الحال في اسرتي راسل وسارتر . . ان الخبرة تعلمنا وهي غير خاطئة في هذا ان هناك نماذج اخرى وعابرة نشأوا في أسر مختلفة عن ذلك اختلافاً كبيراً . لهذا فان التحفيز العقلي او الاثارة الذهنية تمتد فتشمل التشجيع العام على حرية التفكير وحرية ممارسة الخبرة واحترام افكار الطفل مهما كانت تافهة وابداء التفهم لها والتقبل والمدح . . . الخ وقد تأتي التحفيزات الثقافية الاخرى «كتوافر الكتب » مواكبة لهذا النمط من التنشئة او تالية على ذلك (بعد فترات زمنية او طويلة او قصيرة) لكي تجد ان العالم الوجداني والفكر العام للشخص مهد لتقبلها واستثمارها استثماراً جيداً .

ومن هنا تنبع اهمية وجود قدوة او نموذج مبكر في حياة الطفل يتوحد به .
ويستطيع الطفل من خلال هذا التوحد ان يتحمل المصاعب وان يواجه التحديات
المختلفة باساليب ناضجة .

اذكياء مبدعون وغير مبدعين

وتميل بعض الدراسات الى التمييز بين الاساليب التربوية الاسرية التي
تستخدم لتشجيع النجاح الاكاديمي والمهني ، والتكيف لقواعد النجاح الاجتماعي
بشكل عام ، وبين الاساليب الاسرية التربوية التي من شأنها التشجيع على
التفكير للمستقبل والابداع والاصالة . فالاساليب الاولى تشجع على استقلال
النشاط العقلي في التكيف الاجتماعي والدراسي للبيئة (أي الذكاء) . والاخرى
تشجع على استغلال النشاط العقلي لابراز التميز والاختلاف الابداعي (أي
الابداع) . وكلا الاسلوبين قد يتميز بخصائص متعارضة تماما . هناك على سبيل
المثال دراسة اجراها عالمان من جامعة ستانفورد استطاعا ان يبينوا من خلالها ان
اساليب تنشئة المبدع تختلف عن اساليب تنشئة الذكي . . وقامت خطتهما على
اساس اجراء مقابلات شخصية عميقة لمجموعتين من الاسر لاطفال اذكياء (اسر
اطفال حصلوا على نسب ذكاء مرتفعة على مقاييس الذكاء العادية) في مقابل
مجموعة اخرى من اسر لاطفال مبدعين (غير حاصلين بالضرورة على نسب ذكاء
عالية ، غير ان افكارهم اميل للاستقلال ، والمرونة ، والتلقائية . .) وقد تبينت
فروق في اساليب التفاعل بين الاسرة والطفل في كلا المجموعتين .

على سبيل المثال : امهات الاطفال الاذكياء كن اميل للنقد الشديد او عدم
التقبل للاخطاء . بينما كان اتجاه الامهات في مجموعة المبدعين اميل للتقبل
والتشجيع والتغاضي عن اوجه الخطأ .

وهم - أي آباء الاطفال المبدعين - يدون حرية اكثر في التعبير عن النفس

والمشاعر ، ويظهرون طمأنينة وجدانية ، واهتماماً اقل بالمركز الاجتماعي الرسمي .
أما آباء الاذكياء (من غير المبدعين) فيعبرون عن درجة أكبر من الشعور بالتهديد
وعدم الطمأنينة المادية .

ومن ناحية اخرى فقد اتجه آباء المبدعين نحو التشجيع على استقلال
الشخصية اكثر من التشجيع على التحصيل الدراسي التقليدي . وفي الحالات
التي كان يظهر فيها اهتمام بالتحصيل الدراسي فقد كان يحدث بتوازن مع تشجيع
الاستقلال واتخاذ القرار وحرية استكشاف البيئة اما آباء الاطفال غير المبدعين فقد
كانوا اميل للتشجيع على التحصيل الدراسي المجرد، وازهار عدم التقبل
والاستحسان للاجتهادات الفردية او النقدية التي قد تظهر عند اطفالهم .

وعندما كان الامر يتعلق بالتفاعل بين الآباء والابناء فقد ظهرت انماط
اخرى من الاختلاف . فأسلوب التفاعل بين الآباء والابناء في أسر المبدعين امتاز
بالتسامح وعدم التأكيد على ضرورة الخضوع لقيم الوالدين وحرية التعبير عن
المشاعر، بينما اتخذ التفاعل في أسر الاذكياء (من غير المبدعين) شكلاً معارضاً يؤكد
على التصلب، وضرورة الخضوع لقيم الوالدين واتجاهاتهم . وفي دراسة اخرى
سئل عدد من المهندسين ممن يشهد لهم بالابداع والابتكار عن اتجاهاتهم نحو
والديهم واتجاهات والديهم نحوهم اثناء الطفولة ، فتبين انهم (أي الآباء) كانوا
يحملون ويظهرون الاحترام الفائق لهؤلاء الاطفال كما كانوا يعاملونهم بثقة اكبر في
قدراتهم واحكامهم وقراراتهم .

ومن الجلي ان اساليب التعامل في داخل أسر المبدعين تتميز بالتشجيع
المباشر على استغلال القدرات الابداعية وتوظيفها وتوجيهها منذ فترة مبكرة .
وهذه الاساليب تختلف عن تلك التي تستخدمها أسر الاذكياء الذين لم تتح لهم
فرصة استغلال أو تنشيط قدرات الموهبة والابتكار في تلك الاسرة الاخيرة - فيما هو

واضح ، يتجه الاهتمام - كل الاهتمام - نحو اشارة الذكاء التقليدي والمجازاة والتحصيل الدراسي والنجاح المجرد .

تشجيع الامكانيات المبكرة

لكن يلزم ان نوضح حقيقة بسيطة وهامة في نفس الوقت وهي ان شكل التعبير عن الابداع في الطفولة لا يكون متميزاً او متبلوراً بشكل قوي ومحدد . لهذا فان ما نلاحظه منه يجب ان يمتد ليشمل جوانب من الشخصية تعتبر اشارة لوجود استعداد (مستقبلي) للابداع (وان لم تكن هي الابداع نفسه) . فميل الطفل وثقته بنفسه وتلقائيته وتقبله لوجه القصور في ذاته وقدرته على مواجهة الفشل . . كلها مظاهر لا يمكن النظر اليها بصفاتها قدرات ابداعية ، ولو انها تساعد على خلق التربة الاولى التي تقوم عليها محاولات الخلق الابداعي الناضج فيما بعد .

لهذا ، فان اهمية اساليب التنشئة المبكرة تمتد الى ابعد من التركيز على ابراز الموهبة او المقدرة على الابتكار . . اذ انها يمكن ان تتجه الى اعمق من هذا ، أي الى الاتجاه نحو خلق خصائص من الشخصية تعتبر بمثابة الارضية الضرورية التي تنفرع منها اي امكانية مستقبلية للابداع والتفكير المستقل البناء .

ومن هنا تنبع اهمية بعض المبادئ التربوية كالتشجيع التلقائي للطفل ، واحترام اشارة الاسئلة والافكار بدلا من الرفض او الصد أو الانسحاب والتهرب ، وياخذ التشجيع اشكالا مختلفة منها التشجيع المعنوي والمادي . ومن مظاهر التشجيع المعنوي : التحييد والتأييد اللفظي ، والتقبل ، والحماس للفكرة والاضافة اليها ، اما التشجيع المادي فيتضمن المكافآت والهدايا المختلفة . وتبين البحوث ان التدعيم المعنوي ذو فاعلية اقوى من التدعيم المادي في اثاره بعض الدوافع التي ترتبط بالابداع . فالاثابة والوجدانية واطهار الاهتمام وكلمة مديح

عندما يتصرف الطفل بطريقة مرغوبة تعتبر محفزاً قوياً للتفكير المستقل والتفرد البناء .

ولعل من أكثر الأخطاء التي يرتكبها الآباء (بوعي أو بدون وعي) هي تعمدهم واقتصارهم على ادراك اوجه القصور او الضعف في افكار الابناء . فيعمدون الى النقد والسخرية والحقيقة انه ما من عمل من الاعمال او فكرة من الافكار تخلو في بدايتها من نقطة ضعف او جانب من جوانب القصور . لان اوجه القصور قد تكون احياناً أكثر من اوجه القوة . والنقد الحاد الذي قد يوجه لنشاط الاطفال قد يجعل الطفل يتخلى عن اوجه الضعف لكنه وفي احوال كثيرة سيتخلى بجانب ذلك عن نقاط القوة متوقفاً عن الاجتهاد وممارسة النشاط ربما كلية ، والآباء والمربون الذين تشغلهم فكرة تكوين وتنشئة اطفال قادرين على الاستفادة بالخبرة والتفتح والاجتهاد قد يجدون ان من المهم ان يتبينوا اتجاهها بنائياً وليس ناقداً للافكار .

ومن الخطأ ايضاً ان نتصور بأن المبدع والموهوب انسان لا يحتاج للتوجيه والارشاد لكي ينمي مواهبه ويطورها . . ومن الخطأ ان نتصور بان الموهبة تقود الموهوب تلقائياً الى اهدافها وان المبدع قادر ان يختار بنفسه المصادر التي ستساعده على التعبير عن ابداعه مسترشداً بقوة الموهبة الطبيعية . وتزداد اخطار هذه الاخطاء في التصور في الفترات المبكرة من حياة المبدعين . ولعل من اكثر اخطارها هي اننا نقتل تدريجياً الموهبة الكامنة في حياة الاطفال ان لم نساعدهم بكل الطرق على قرارات مستقلة وتنمية مهاراتهم حتى ولو كانت محدودة . والبحث العلمي أيضاً يدعم هذه النصيحة . فقد تبين في دراسة مقارنة بين آباء المهندسين الموهوبين والمهندسين المختصين في مستوى الابداع ان آباء المجموعة الاولى كانوا يشجعون أبناءهم في فترات الطفولة المبكرة على اتخاذ قرارات مستقلة فيما يختص بحياتهم الشخصية .

والاغتراب والعزلة ايضاً

وتبين دراسات الاطفال الذين يظهرون استعداداً مبكراً وطيباً لاستقلال التفكير انهم يشعرون دائماً بين اقرانهم بالعزلة . . وتكشف السير الذاتية للمفكرين عن مظاهر كثيرة مماثلة من الشعور بالاغتراب .

وأبعد ضرراً وخطراً ان يتبنى الآباء تصورات خاطئة عن ظهور الموهبة والشخصية الابداعية وان يفرضوا هذه التصورات ويعكسوها في اساليب معالجتهم لابنائهم . ويستطيع القارئ الحصيف ان يستنتج ان كثيراً من المبادئ التربوية السابقة التي عرضناها انما تقوم على تصحيح خطأ ما في تصوراتنا لظهور الابداع ونمو المبدع . . ومن امثلة هذا الخطأ الخلط بين الخروج عن المألوف أو العادي وبين المرض العقلي والشذوذ . . فكثير من الناس ينظرون إلى اي اختلاف عن المألوف بأنه علامة على التعقيد والاضطراب وعدم التكامل . . وهذا غير صحيح - علمياً - ويحتاج كثير من المبدعين والمفكرين - في طفولتهم وما بعد الطفولة - لمن يدعم لديهم الاحساس بأن افكارهم ونشاطهم شيء يختلف عن المرض النفسي والعقلي .

وبما ان كثيراً من جوانب النشاط الابداعي يتأثر بظروف طارئة احياناً او صدف مفاجئة غير متوقعة ، لا يجوز ان ينتهي بنا الى خطأ آخر في التفكير، فنتصور بأن الحظ هو الفاصل النهائي والمتحكم في مجريات الامور . . صحيح ان الفرص والصدف غير المتوقعة امر لا يمكن انكاره في مجالات الاكتشاف العلمي والتفكير والبحث ، لكن الصدفة لا يمكن ان تقبل الا على من يعرف كيف يغازلها . كما يقول شارل نيكول . لكن من الضروري ايضاً ان نتعلم وان نعلم الآخرين اساليب ملائمة من الغزل وفي هذا يكمن المغزى العميق لدور الاسرة ومؤسسات المجتمع في تبني الموهبة الابداعية وترشيدها .

القسم الرابع :

اختبارات أخرى

في بداية الكتاب قدمنا للقارئ عدة اختبارات لمعرفة الحاصل الابتكاري عنده . وهو في الاجابة عليها ربما يكون قد أخطأ في بعض الأشياء مما استتبع نتائج غير مرضية بالنسبة اليه . ولذلك فصلنا في القسمين الثاني والثالث أهم الميزات التي يتمتع بها الرجل المبتكر . فضلاً عن الحالات الاجتماعية التي تقف دوماً دون أن يكون كل فرد على مستوى عالٍ من النضج الفكري .

وها نحن الآن نقدم للقارئ اختبارات أخرى للرد عليها بعدما يكون قد فهم الخصائص المرتبطة بالابتكار والابداع .

الاختبار الأول :

اتجاه القيم :

أجب على الاسئلة على الشكل التالي :

أ = نعم .

ب = بين بين .

ج = لا .

- ١ - ان القيم المحافظة ضرورية للمجتمع .
- ٢ - لقد فهمت حياتي جيداً . . .
- ٣ - أحيا بقناعة ودون تحمس . . .
- ٤ - أخاف فقدان لذة الحياة أكثر مما أخاف الموت . . .
- ٥ - أشعر أن الحياة رحلة حيث تلعب المغامرة دوراً مميزاً . . .
- ٦ - أجد السياسة مملة .
- ٧ - أنا مقتنع بأن العمل للآخرين أهم من العمل للنفس . . .
- ٨ - ان المشاركة في الحياة أهم من الحياة بحد ذاتها . . .
- ٩ - أنا رجل مثالي . . .
- ١٠ - أحاول اتمام أشياء كثيرة في حياتي . . .
- ١١ - كلما اتقدم بالعمر تخف قابلية الحياة عندي . . .
- ١٢ - ان إيجاد هدف لحياتي الحاضرة أهم من الحياة في الآخرة . . .
- ١٣ - أجد أن التضحية بالنسبة الى الآخرين لا معنى لها . . .

- ١٤ - أشعر ان حياتي أقصر مما يجب لاتمام ما أحلم به . . .
 ١٥ - ان « الحقيقة » هي تلك التي أجدها مناسبة لأوضاعي وغاياتي . . .

النتائج :

أ	ب	ج	
١ -	٠	١ +	١
١ -	٠	١ +	٢
٢ -	٠	٢ +	٣
٢ +	٠	٢ -	٤
١ +	٠	١ -	٥
١ +	٠	١ -	٦
١ -	٠	١ +	٧
٠	٢ +	٠	٨
١ +	٠	١ -	٩
١ -	٠	١ +	١٠
١ +	٠	١ -	١١
١ +	٠	١ -	١٢
١ -	٠	١ +	١٣
١ +	٠	١ -	١٤
١ +	٠	١ -	١٥
٢ +	٠	٢ -	١٦
٢ +	٠	٢ -	١٧
٢ -	٠	٢ +	١٨

نتيجة الاختبار : (ضع العلامة التي حصلت عليها)

الاختبار الثاني :

الحياة العملية

أجب على الأسئلة على الشكل التالي :

أ = نعم .

ب = بين بين .

ج = لا .

- ١ - أحب العمل الذي لا يكون روتينياً . . .
- ٢ - حين أنتهي من عمل ما ، أحب عدم العودة اليه . . .
- ٣ - حين أكون في عمل ما أفكر في العمل الذي سيتبعه . . .
- ٤ - النجاح المادي هو همي الوحيد . . .
- ٥ - أفضل البحث عن أفكار جديدة مع الناس أكثر مما أفضلها حين أكون وحيداً . . .
- ٦ - أتضايق حين لا أكافأ على جهودي .
- ٧ - مهم جداً بالنسبة إليّ أن أعتبر ذو شأن داخل الجماعة .
- ٨ - أظن أن الابتكار يبقى محدوداً في مجالات معينة .
- ٩ - ان المحافظة على الدوام الرسمي مهم جداً لنجاح العمل .
- ١٠ - ليس صعباً عليّ معرفة أخطاء الآخرين .
- ١١ - ان اختراع أفكار جديدة أهم بالنسبة إليّ من إيجاد المستفيدين منها . .

- ١٢ - أبحث دائماً عن مشاكل صعبة لحلها . . .
- ١٣ - لم أجد حتى الآن أي عمل « يبتلغني » . . .
- ١٤ - أبحث عن أساليب لزيادة انتاجي . . .
- ١٥ - ان الأفكار الجديدة وجب عليها أن تحمل بعض القيم لتدخل ضمن الاطر الابتكارية . . .
- ١٦ - لا أستطيع البحث جدياً في مشكلة معينة أكثر من ساعة أو ساعتين
- ١٧ - أفضل العمل بمفردي . . .
- ١٨ - لا أحبذ العمل تحت الضغط . . .
- ١٩ - أعتقد أن عملاً كبيراً لا بدّ من أن يكون ناجحاً . . .
- ٢٠ - أستطيع العمل لفترات طويلة دون تدمير . . .
- ٢١ - أجد نفسي مأخوذاً بمشاكل أكبر من طاقتي وبأعمال أقل منها . . .
- ٢٢ - أفضل تنظيم عملي . . .
- ٢٣ - لا أحبذ متابعة أي عمل ان لم يكن مقروناً بتعليمات محددة .
- ٢٤ - أفكر بأني أحمل رسالة معينة الى العالم .

النتائج :

نتيجة الاختبار . . .

ج	ب		
١ -	٠	١ +	١
١ -	٠	١ +	٢
١ -	٠	١ +	٣
١ +	٠	١ -	٤
١ +	٠	١ -	٥
١ +	٠	١ -	٦
٠	١ +	٠	٧

١ +	٠	١ -	٨
١ +	٠	١ -	٩
٠	٢ +	١ +	١٠
٠	١ +	١ -	١١
٠	١ +	٢ +	١٢
٢ -	٠	٢ +	١٣
١ +	٠	١ -	١٤
١ -	٠	١ +	١٥
١ +	٠	١ -	١٦
٠	١ +	٠	١٧
١ +	٠	١ -	١٨
١ +	٢ +	٠	١٩
٠	١ +	١ -	٢٠
٠	٢ +	١ +	٢١
١ -	٠	١ +	٢٢
١ +	٠	١ -	٢٣
١ -	٠	١ +	٢٤
١ +	٠	١ -	٢٥
١ +	٠	١ -	٢٦
٢ +	٠	٢ -	٢٧
١ -	٠	١ +	٢٨

نتيجة الاختبار . . . (ضع العلامة التي حصلت عليها)

الاختبار الثالث :

القضايا الحياتية

أجب على الاسئلة بالطريقة التالية :

أ = نعم .

ب = بين بين .

ج = لا .

- ١ - المفكرون العاديون وحدهم يركضون وراء الأمثلة والأقاويل . . .
- ٢ - ان البالغين الذين يتهافتون على الأشياء تماماً كما يفعل الصغار ، ما زالوا في مرحلة الطفولة . . .
- ٣ - أنا قادر على التركيز لدرجة نسيان ما حولي . . .
- ٤ - أبقي ساهراً أحياناً طيلة الليل حين أكون مأخوذاً بفكرة ما .
- ٥ - بعض أفكارى العميقة تنبت من المصادفات . . .
- ٦ - ان القضايا التي لا تحمل أجوبة مفهومة لا تهمني . . .
- ٧ - أحبذ الأفكار الغنية . . .
- ٨ - أنا رجل مفكر آخذ الوقت الكافي للتفكير . . .
- ٩ - تجاه مشكلة معينة ، أبحث دائماً وأركز على الحلول المتقاربة . . .
- ١٠ - أحبذ ضياع الوقت على مشكلة عويصة حتى وان كنت متأكداً أنني لن أجد حلاً لها . . .

- ١١ - أتضايق كثيراً من مشكلة أهتم بحلها تبدأ بأخذ مسار آخر . . .
- ١٢ - أنشغل دائماً بعدة قضايا . . .
- ١٣ - أعتقد أنه علينا الأخذ بقضية واحدة ونسيان القضايا الأخرى . . .
- ١٤ - أجد ان الأخذ بقضايا ومشاكل رومنطقية هو ضياع للوقت . . .
- ١٥ - أنا مأخوذ بمشاكلي ولا أستطيع التخلص منها . . .
- ١٦ - أجد متعة بمعالجة القضايا الصعبة . . .
- ١٧ - حين أفكر بمشكلة صعبة ، أجد أنه من السهولة عليّ إيجاد حلول جديدة لها . . .
- ١٨ - ان العمل اللاواعي أهم بكثير من الأعمال الواعية خصوصاً إذا كانت القضية هي إيجاد حلول لمشكلة معينة . . .
- ١٩ - أحب التسلي « بالعدة » التي استعملها في عملي . . .
- ٢٠ - أتسلى أحياناً بمتابعة فكرة جنونية لمعرفة الى أي مدى يمكن أن تؤدي إليه . . .
- ٢١ - أنا قادر على إيجاد حلول فريدة من نوعها للمشاكل . . .
- ٢٢ - ان جهوداً منظمة ضرورية جداً لإيجاد الأفكار المبتكرة . . .

النتائج :

ج	ب	أ	
٢ +	٠	٢ -	١
١ +	٠	١ -	٢
٢ -	٠	٢ +	٣
١ -	٠	١ +	٤
١ -	٠	١ +	٥
١ +	٢ +	١ -	٦
١ +	٠	١ -	٧
٢ -	٠	٢ +	٨

٢ -	•	٢ +	٩
٢ -	•	٢ +	١٠
٢ -	•	٢ +	١١
١ -	•	١ +	١٢
١ -	•	١ +	١٣
١ -	•	١ +	١٤
•	٢ +	١ +	١٥
٢ +	•	٢ -	١٦
٢ -	•	١ +	١٧
١ -	•	١ +	١٨
٢ -	•	٢ +	١٩
٢ -	•	٢ +	٢٠
١ -	•	١ +	٢١
١ -	•	١ +	٢٢
١ -	•	١ +	٢٣
٢ -	•	٢ +	٢٤
٢ -	•	٢ +	٢٥
٢ -	•	٢ +	٢٦
•	٢ +	١ +	٢٧
٢ -	•	٢ +	٢٨

نتيجة الاختبار . . . (ضع العلامة التي حصلت عليها)

الاختبار الرابع : الطفولة - المراهقة

أجب على الأسئلة التالية كما يلي ؛

أ = نعم .

ب = بين بين .

ج = لا .

- ١ - كنت حالمًا حتى العاشرة من عمري . . .
- ٢ - لم أكن طموحاً خلال مراهقتي . . .
- ٣ - واحد من أهلي كان يتمتع بأفكار اجتماعية صلبة . . .
- ٤ - واحد من أهلي كان يلهم ببعض الأفكار الفنية . . .
- ٥ - خلال طفولتي ومراهقتي أعطتني أمي كل الحرية التي كنت بحاجة إليها . . .
- ٦ - خلال مراهقتي لم أصاحب ولم أعاشر أشخاصاً ناجحين في دروسهم . . .
- ٧ - خلال عمر الثانية عشرة والثامنة عشرة لم أطلع كثيراً . . .
- ٨ - خلال مراهقتي لم أشعر بحاجة الى البقاء وحيداً لمعالجة أفكارى . . .

النتائج :

ج	ب	أ	
٢ +	٠	٢ -	١
١ +	٠	١ -	٢